مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد-P 7163 – 1112
ردمد-E 1892 – 2588
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

الشيخ إبراهيم أبي اليقظان في جهاده الصحفي من خلال أشعار عمر بن عيسى بلعيد البريَّاني

يحيى بن بهون حاج امحمد
مخبر التراث الثقافي والأدبي بالجنوب الجزائري / جامعة غرداية
yahiabenbouhoun@yahoo.fr

ملخص:

يتناول هذا البحث جزءاً من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية في مجال النشاط الصحفي خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، حيث كان التضييق على الصحافة العربية عموماً والإصلاحية خصوصاً، ومن أقطابها الشيخ إبراهيم أبي اليقظان (1888 - 1973م) من خلال صحفه الثمانية بين 1926 - 1939م التي أوقفتها الإدارة الاستعمارية الواحدة تلو الأخرى، وكذا إنشاءه "المطبعة العربية" (1931م) الرائدة في الجزائر آنئذٍ، وقد أرّخ لكفاح هذا الصحفي القدير أحد أنصار الحركة الإصلاحية وأنصار الشيخ أبي اليقظان في كفاحه الصحفي، أحد الذين ولعوا بالشعر الشعبي وبرزوا فيه آنئذٍ وأعني به الشاعر عمر بن عيسى بلعيد البرياني (1880 - 1947)، الذي ترك آثاراً أدبية وشعرية مخطوطة وفقت لتحقيق وإخراج الجزء الأول من ديوانه، كما وقفت على جلّ تراثه المخطوط، ومنه قصائد عددية مخطوطة في مساندة الشيخ أبي اليقظان في جهاده الصحفي، ويعدّ شعره عن نشاط صحف أبي اليقظان وتوقيف بعضها من طرف الإدارة الاستعمارية وكيد الحاسدين له...، تاريخاً أدبياً لا يقلّ أهمية عما يكتبه المؤرخون.

الكلمات المفتاحية:

إبراهيم أبي اليقظان - الكفاح الصحفي - شعر ملحون- مخطوط - عمر بلعيد البرياني.

Abstract

The Paper Is About Shedding Light On Part Of The History Of The Algerian National Movement In Relation With Journalism During The 1920s And 1930s, Where The Oppression On The Arab Press In General And Reformism In Particular. Among The Leaders Of Reformism Press, Sheikh Ibrahim Abi Al-Yaqzan (1888-1973) Took A Special Position Through His Eight Newspapers Between 1926-1939 That Was All Banned By The Colonial One After The Other, In Addition To His Establishment Of The "Arab Printing Press" In (1931), Which Is Considered As The First Printing Press In Algeria At That Period. The Person Who Chronicled The Struggle Of This Iconic Journalist, Who Is Also One Of The Supporters Of The Reformist Press And One Of The Supporters Of Sheikh Abi Al-Yaqzan In His Struggle For Freedom Of The Press, Was The Poet Omar Bin Aissa Belaid Al-Berriani (1880-1947), Who Left Literary And Poetic Manuscripts To Which I Have Succeeded To Collect And Publish The First Part Of His “Diwan”. I Also Stood On Most Of His Manuscripts Heritage, Including Several Numerical Poems In Supporting Sheikh Abi Al Yaqzan In His Journalistic Struggle. His Poems About The Newspapers Of Abi Al-Yaqdan And The Ban Of Some Of Them By The Colonial Authorities Along With The Conspiracy Of His Enemies Should All Be Noted As A Literary History That Is No Less Important Than Any Other Historical Work.

Keywords:

Ibrahim Abi Al-Yaqzan- Journalistic Struggle – Vernacular Poetry – Manuscript -

مقدمة:

لقد شهد شمال إفريقيا سطوة أعتا قوة استعمارية في العصر الحديث، متمثلة في الاستعمار الفرنسي، وكان نصيب الجزائر منها 130 سنة من الاحتلال، ذاق فيها ألوان التعذيب النفسي والجسدي ومنه التجهيل والتجويع والتهميش... ما فاق كل تصوّر أو خيال.

وخاض أبناء الجزائر عبر التاريخ معارك طويلة بالدم والفكر والقلم في صدّ المستعمر وردّ كيده ودسّه؛ ويدود عن الحمى والدين واللسان... العلماء والأدباء ورجال الصحافة المخلصين بكلّ ما أوتوا من قوة عقل وفصاحة وبيان، فقيض الله للجزائر _بعد قرن من الاحتلال الغاشم_ ثلة من الرجال الصالحين المصلحين أسهموا في توحيد الجهود، وشمروا عن سواعدهم لإنقاذ أمتهم من ويلات الاستعمار والنصر ديناً ودنيا.

وكان لظهور الحركة الإصلاحية سنة 1925 الأمل الجديد للجزائر، إذ شرعت في بعث التعليم العربي الأصيل للبنين والبنات، بعدما حرمهم الاستعمار منه دهراً طويلا؛ وطورت المناهج التربوية بعد ذلك، وحاربت الفساد الأخلاقي ومظاهر التخلف الاجتماعي...، حتى تكللت جهود أولئك المخلصين _رغم مكر الاستعمار وكيده_ بميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 لتكون بعثاً للأمة الجزائرية المسلمة، إذ شرع أقطابها الذين انتشروا في ربوع الجزائر دعاة علم وإصلاح ومن أبرزهم: الإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة (شرقاً)، والشيخ البشير الإبراهيمي في تلمسان (غرباً)، والشيخ إبراهيم بن عمر بيُّوض في ميزاب (شمال الصحراء)، والشيخ الطيب العُقبي في نادي الترقّي (بالجزائر العاصمة)... وغيرهم، شرع هؤلاء على وجه الخصوص في إصلاح الأنفس من خلال دروس الوعظ والإرشاد، وكان تفسير القرآن الكريم رسالتهم إلى المجتمع؛ فاشتغلوا بتفسيره وبيان معانيه، وأخذوا يَعرضون نظم مجتمعاتهم على مفاهيم القرآن الكريم وتعاليمه لعلاج أمراضها وأسقامها من خلال فهم آياته ومعانيه وإسقاطها على الواقع المعاش...

وآزر تلك الجهود الخيّرة الصحف العربية الجزائرية وهي تُعنى بنصرة الإصلاح والمصلحين في كل مكان؛ ومن هؤلاء الشيخ الصحفي إبراهيم بن

عيسى أبو اليقظان؛ الذي رابط في الجزائر العاصمة صحفيّاً مبرّزاً ينافح ويدافع عن الدين الإسلامي واللغة العربية ويجابه المستعمر فاضحاً دسائسه وألاعيبه ومحاربة كثير من الآفات التي غرسها المستعمر في نفوس الشباب، فأفلحوا في اجتثاثها من الجذور؛ وكان مقر جريدة الشيخ أبي اليقظان بالعاصمة الجزائر نادياً أدبياً يلتقي فيه أنصاره يؤازرونه في معركته الطويلة مع المستعمر وأذنابه.

وممن ساند الحركة الإصلاحية بالجنوب والشمال، وكان معجباً بالعمل الصحفي المتيّز للشيخ أبي اليقظان؛ الشاعر عمر بن عيسى بلعيد البرياني؛ والذي تفوَّق في الشعر الملحون وخلّد بشعره المتميّز جزءاً هاماً من تاريخ وذاكرة قريته بريّان خصوصاً والجزائر عموماً، وناصر أبا اليقظان في جهاده الصحفي شعراً.

لقد أمضى هذا الشاعر فترة شبابه بواحات بريان يصف رونقها ويتغنى بجمالها... كما واكب لاحقاً النهضة الإصلاحية التي قادها الشيخ إبراهيم بيُّوض في ربوع وادي ميزاب، وصار شاعر الحركة الإصلاحية في بريان، حتى تعرّض بسبب شدة لهجته على المستعمر وأذنابه في بريان إلى النّفي، واختار العاصمة الجزائر مقاماً له لمدة عشرين سنة... وفي فترة منفاه وغربته القسريَّة جمع أشعاره في دفاتر عديدة، وسماها "ديوان الغريب"...

وتتلخص أهم محاور المداخلة حول النقاط الآتية، وهي:

- مقدمة.
- الشيخ إبراهيم أبو اليقظان حياته وآثاره.
- عمر بن عيسى بلعيد البريّاني حياته وآثاره.
- نشاطه الاجتماعي ومحاربته للاستعمار الفرنسي.
- "ديوان الغريب" الموضوعات والمضامين.
- النزعة الإصلاحية في "ديوان الغريب".
- "قصة المطبعة الناشئة التاريخية العربية لجريدة وادي ميزاب المغرب".
- "قصة تاريخية في خواطر جريدة وادي ميزاب".
- الخلاصة والتوصيات.

الشيخ إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان (1888- 1973)

"رائد الصحافة العربية في الجزائر، وصاحب الثماني جرائد وطنية"

ولد الشيخ إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان بالقرارة (جنوب الجزائر) وبها تعلم مبادئ العلوم العربية والشرعية، ولما بلغ من العمر 19 سنة شد الرحال إلى "بني يزجن" أين تتلمذ على يد قطب الأئمة الشيخ أطفيَّش، فكان من أبرز تلامذته وأنجبهم؛ وحوالي سنة 1909 قصد بيت الله الحرام وعمره 21 سنة، وكان ينوي الإقامة بمصر للدراسة لدى عودته، ولكن فقره حال دون أمنيته، ولو أن هذه الرحلة فتحت أمام عينيه آفاقا واسعة حيث زار الحجاز والشام، وتركيا، وليبيا، وتونس.

في سنة 1912 التحق بجامع الزيتونة بتونس طالبا، ثم رئيسا لأول بعثة طلابية مزابية سنة 1925 وعمره 25 سنة.

وفي هذه الأثناء انخرط في معترك السياسة، وأصبح تلميذا وفيا للشيخ عبد العزيز الثعالبي زعيم الحزب الدستوري التونسي، وعضوا في التشكيلة الفدائية السرية التي كانت تتطلع إلى تحرير شمال إفريقيا من ربقة الاستعمار الفرنسي، فصار عضوا نشيطا في اللجنة التنفيذية للحزب بواسطة الشيخ صالح بن يحي، كما كان يشارك في الصحافة المصرية بقلمه الوطني الحر.

في أكتوبر من سنة 1926 بادر إلى إنشاء أول جريدة عربية باسمه تحت عنوان (**وادي ميزاب**) أرادها لتكون لسان حال الفكر الإسلامي عموما و الجزائري خصوصا. ولأن قلمه لا يهادن ولا ينافق، فإنه تجرع في سبيل سير صحافته الغُصص، وتحمل المشاق المادية المرهقة، يكفي أن نعرف أن جريدته هذه كانت تحرر بالجزائر وتطبع بتونس، ثم تعود بالقطار لتوزع في الجزائر هكذا كل أسبوع طيلة عامين ونصف لم تتخلف فيها عن الظهور قط، وكان يعاونه في طبعها زميلاه الشيخ محمد الثميني، وتعموت الحاج عيسى ابن الشيخ قاسم، كما كان كاتبا للزعيم عمر بن عيسى حاج امحمد وكيل الأمة المزابية.

وكانت جريدة (وادي ميزاب) بداية لجهاد مرير دام ثلاث عشرة سنة، أصدر خلالها ثماني جرائد أسقطها الاستعمار الواحدة تلو الأخرى، للهجتها الوطنية الصارخة، توجد نسخ منها بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، وهي التالية:

(وادي ميزاب) 119 عددا، من 1926/10/01 إلى 1929/01/18.

(ميزاب) عدد واحد، 1930/01/25.

(المغرب) 38 عدداً، من 1930/05/29 إلى 1931/03/09.

(النور) 78 عدداً، من 1931/09/15 إلى 1933/05/02.

(البستان) 10 أعداد، من 1933/04/27 إلى 1933/07/13.

(النبراس) 6 أعداد، من 1933/07/21 إلى 1933/08/22.

(الأمة) 170 عدداً، من 1933/09/08 إلى 1938/06/06.

(الفرقان) 6 أعداد، من 1938/07/08 إلى 1938/08/03.

ومن أبرز جهود أبي اليقظان في الميدان الثقافي الوطني، إنشاؤه المطبعة العربية سنة 1931م؛ والتي تعد من أوائل وأهم المطابع العربية الوطنية بالجزائر

العاصمة، إذ كانت تطبع بها أغلب المؤلفات العربية الوطنية، والصحف الإصلاحية، والمنشورات الثورية[1]...

عمر بن عيسى بلعيد البريّاني حياته وآثاره

الشاعر عمر بن عيسى بلعيد من مدينة بريان[2] بوادي ميزاب، جنوب الجزائر، ولد حوالي سنة 1880م أو قبلها بقليل، فنشأ بها، وأورثته بجمالها وجوها الساحر حب الجمال فهام به في كل مظاهره الحسية والمعنوية، ولما وصل سنَّ التعلم دخل الكُتَّاب فختم القرآن الكريم، وبرع في القراءة والكتابة، فقرأ كثيرا من الكتب التي فتحت فكره وحببت إليه الفصاحة، ثم رحل إلى آتْ يسجن[3] في العقد الأول من القرن العشرين، فحضر دروس "قطب الأئمة"؛ الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش[4] في معهده وصار من تلاميذه المتفوقين.

تعلم هناك الفقه وشيء من العلوم العربية، وكان شديد الحب للعلم، ذكي العقل، يتمنى أن يكون من كبار العلماء ليصلح بلده وينقده من الجهالة، لكن فقره وزُهد أهل بلده في العلم في ذلك العهد اختصر مدته في طلب العلم، فلم يكد يَجد حلاوته حتى صُرف إلى طلب المعاش، ولو استمر في طلب العلم لكان ربما عالما كبيرا ومؤلفا فذا بارعاً.

---

1 - محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925- 1962)، نشر جمعية التراث، القرارة- غرداية، ط01، 1425هـ/2004م، ص65.

2 - بريَّان: مدينة طيبة الهواء، تقع في شمال صحراء الجزائر، وتبعد عن وادي ميزاب بـ 40كم إلى الشمال.

3 - بني يزقن: من أهم قرى وادي ميزاب، وهي مدينة العلم والعلماء، ومن أعلامها البارزين الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش الشهير بـ"قُطب الأئمة".

4 - يعتبر قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش من أشهر علماء إباضية المغرب الإسلامي في العصور الحديثة، وهو صاحب التآليف العديدة في مختلف الفنون النقلية والعقلية، وصاحب مدرسة خرَّجت فطاحل المصلحين والدعاة على مر عقود من الزمن، ولا يزال تراثه المكتوب مخطوطاً في أغلبه نظرا لضخامته وجزالته.. ينظر: ملحق السير، إبراهيم أبو اليقظان، ج3 ص 153 وما بعدها، مخطوط.

كان عمر بلعيد شديد الحب للعلم والعلماء، فلازم الشيخ الحاج الناصر كروشي[1] لما استقر في بريان؛ فانتفع بمجالسته وازداد علما منه، وامتلأ بروحه، فكان مصلحا كبيرا مثله، يُنكر البدع التي أُقحمت في الدِّين وشلَّت العقول، ويبغض الخمول والاستجداء للاستعمار وأذنابهم من المفسدين.

نشاطه الاجتماعي ومحاربته للاستعمار الفرنسي.

كان السيد عمر شديد الغيرة على الدين متمسكا به، شجاعًا لا يهاب الظَّلمة الأقوياء، يَنقض عليهم بقصائده فيصف كل مَخازيهم، وقد يُسميهم لا يُجمجم ولا يستتر، وكان إلى جانب ذلك مرحًا خفيف الروح، فَكِهَ المجالس، لا يُمل حديثه ومُجالسته، وكان هادئا في مظهره ورنة كلامه، ولكن إذا حدّقت في عينيه رأيت فيهما لهيب الثورة، وبريق الأسد الهصور، ونور الإخلاص والصفاء والأدب والظرف[2].

لقد كان عمر بن عيسى بلعيد داعية كبيرا في بلده للعمل والنهضة عند انبعاثها، عاملاً في محاربة المفاسد الاجتماعية والخلقية بكل الوسائل، وعرف في نفسه الاقتدار في الشعر، ولما كانت العربية الفصحى لا يفهمها أهل زمانه بكثرة، وكان هو قصير الباع فيها، ورأى غرام زمانه بالشعر الملحون وشدة تأثر الناس به، واقتياد الطرقيين[3] الخُرافيين للعامة به، عزم أن يَجعله هو وسيلته في إصلاح المجتمع، وسلاحه الرهيب ينقضُّ به على الفساد والجمود[4] في بلده، فنظم قصائده الأولى في الشعر الملحون فظهر نبوغه من أول قصيدة، فأقبل الناس والشباب المثقف خاصة على شعره يسمعونه ويتلذذون به، ويرونه عنه فيتغنون به في مجالسهم وأفراحهم، لأنه يعبر عن وجدانهم ويصور أحلامهم، ويطب لأمراض وطنهم، ويليق بمزاجهم، فكان إقبالهم عليه أكثر.

---

1 - ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة العربية 1971، ج2، ص151.

2 - ينظر: نفسه، ص190، بتصرف.

3 - الفكر الطرقي كان سائدًا بكثرة في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي، والمراد هنا بالطرقية المنحرفة والضالة والتي كانت تخدم مصالح المستعمر.

4 - الجمود: مصطلح أطلق أساسًا على التيار المحافظ الرافض لفكرة الإصلاح التي انطلقت جذوتها سنة 1925.

ابتدأ السيد عمر بلعيد نظم الشعر الملحون في أول شبابه في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، أول العقد الأول من القرن العشرين، فظهر نبوغه الباكر، وشاع شعره الجميل في بلده بريان، ولما اجتاح بلده بريان ومدن مزاب الفيضان الذي وقع في خريف 1319هـ/1901م، أنشأ قصيدة قصصية جميلة طويلة عنوانها (قصة الوديان بَاللُّوحْ والسُّودَانْ)، ذكر فيها أحداث الفيضان ومناظره، وأطواره وأضراره وضحاياه البشرية، وشاعت في بريان ومزاب وحفظها كثيرون وتغنوا بها.

حبه للإصلاح والمصلحين:

لقد كان السيد عمر مصلحاً بأتمِّ معنى الكلمة، إذ ناصر كل المصلحين الذين حاولوا بعث حركة إصلاحية في بلده بريان في العقد الأول والثاني من القرن العشرين، ومنهم الشيخ الحاج الناصر كروشي، والشيخ محمد الطرابلسي[1]، والشيخ عمارة بن صالح موسى المال[2]، وغيرهم كثير ممن سيأتي ذكرهم في قصيدته التي كتبها بمناسبة زيارة الدكتور بن جلول إلى مزاب سنة 1929م، وهي مبثوثة في آخر هذا الديوان، كما كان من أكبر أنصار نادي التَّرقي[3] في الجزائر، ولما ابتدأ الشيخ الطيب العُقبي جهاده فيه كان من أكبر مُؤيديه، والملازمين له ولدروسه الأسبوعية، وهو يعرفه ويجلس معه جلسات

---

[1] - هو: محمد بن إبراهيم الطرابلسي، من عائلة قْرقْر من بريَّان، مصلح من الرواد المنشئين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عالم في القراءات السبع، نزل طرابلس وحفظ القرآن بها فنسب إليها؛ ناصر الحركة الإصلاحية وله مقالات صحفية في المنتقد والشهاب وصحف أبي اليقظان..

ينظر: معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1999، ج2 ص 755- 757.

[2] - أحد تلاميذ القطب، من شيوخ بريان البارزين، أحد باعثي الإصلاح الأوائل بها. ينظر: نفسه، ج3، ص625.

[3] - هو نادي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بساحة الشهداء، أنشأه أنصار الإصلاح من التجار فكان له الأثر البالغ في نُصرة الجزائر..

ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة العربية 1971، ج2، ص92.

خاصة، ويُكن له الشيخ الطيب العُقبي وُدًّا واحتراما كبيرين، ولما نشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استبشر الشاعر خيرا، فرأى فيها حلما من أعظم أحلامه يتحقق، فكان من كبار مؤيديها والمعجبين بها وبأساطينها، وذكر الشيخ الدبوز أنه كان يجلس إليه في كهولته في محل عمله في بريان، فيحدثه عن أساطين جمعية العلماء، فهو يعرفهم لملازمته لنادي الترقي مقر الجمعية المباركة[1].

الشيخ ابو اليقظان مع كبار اعضاء جمعية العلماء

– في الصف الاول : جلوسا ، من اليمين الى اليسار : محمد السعيد الزاهري ، العربي التبسي ، البشير الابراهيمي ، محمد ابراهيم الكتاني (من المغرب ضيفا) ، عبد الحميد بن باديس ، الطيب العقبي ، عبد القادر بن زيان ، مبارك الميلي .
– في الصف الثاني وقوفا : محمد العيد آل خليفة ، فرحات الدراجي ، ناجزيز بن عمر ، مصطفى حلوش ، محمد خير الدين علي الخياري ، ابو اليقظان . . اخذت هذه الصورة بنادي الترقي حوالي 1934 .

وَلَعهُ بالصحافة الإصلاحية:

لقد كان الشاعر عمر بلعيد من أكبر أنصار الشيخ أبو اليقظان[2] في جهاده الصحفي في الجزائر العاصمة، ويزور الشيخ في مكتبه ويقرأ عليه قصائد الملحون القوية التي يُنشئها في الدعوة إلى الإصلاح والدّب عنه،

[1] – ينظر: نفسه، ص191، بتصرف.

[2] – رائد الصحافة العربية بالجزائر بجرائده الإصلاحية الثمانية، أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن أعضائها البارزين...
ينظر: معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1999، ج2 ص 52- 56.

وادي ميزاب

OUED M'ZAB

Rue de la Lyre 59, Alger

CHÈQUES POSTAUX 84-50

ومحاربة المفسدين والمستعمرين، فيرى فيه الشيخ أبو اليقظان أكبر نصير، ويجد شعره من أحسن الوسائل لبث فكرة الإصلاح في العامة، وقد حدث الشيخ أبو اليقظان _رحمه الله_ المؤرخ محمد علي دبوز مرارا عن الشاعر وأثنى عليه وعلى شعره، ولما أنشأ أول صحيفة له وهي "وادي ميزاب"[1] فرح الشاعر عمر فرحا كبيرا وأنشأ في ذلك قصيدة ينوِّه بها ويذكر مزاياها، ولما عُطّلت حزن حزنا عظيما وأنشأ في ذلك قصيدة، وقد وردت في ثنايا هذا الديوان.

كما كان _رحمه الله_ كثير القراءة للصحف والمجلات العربية الوطنية والمصرية والتونسية وغيرها، وإذا زاره أحد في محله في بريان وجد عنده بجانب أكوام السعف الذي يصنعه، مجلات وجرائد عربية وطنية عديدة كان يستعيرها من أصدقائه فيقرؤها، ويذكر محمد علي دبوز أنه كان حين يجلس إليه في محله كان يحدثه بأهم مواضيعها، فيأخذ واحدة منها فيقرأ عليه الشاعر أو يقرأ له المؤرخ ما يُعجب به، فيستوقفه في بعض فقراتها ليعلق عليها، ويُمضي وقتا طويلا في القراءة في محل عمله، وبوده أن تستمر القراءة والمجلس الأدبي الذي يكون له مع المثقفين الذين يزورونه في محل عمله، وفي دفاتره التي

[1] - أول جريدة إصلاحية أنشأها الشيخ أبو اليقظان، صدر منها 119 عددًا، من 1926/10/01 إلى 1929/01/18.

تركها قصاصات كثيرة من مجلات وجرائد عربية، كان يحفظ فيها بعناية كلما يروقه من نظم ونثر[1].

العمل السياسي بالجزائر:

لما ابتدأت حركة "حزب الشعب الجزائري" في الجزائر (PPA) في أواخر 1936، حيث برز هذا الحزب بمبادئه الوطنية الصارخة الرافضة لسياسة الاندماج والفَرنَسَة التي حاول الاستعمار تمريرها في أشغال المؤتمر الإسلامي الأول بالعاصمة صيف 1936، ولم يتفطن لتلك الألاعيب ولم يفضحها أمام الملأ إلا مخلصي حزب الشعب، وهم الذين سخروا من مشروع "بلوم فيوليت" فسُقط في أيدي العدو ما كان يصبوا إليه..، وقد راقت الشاعر الروح الثورية لهذا الحزب ومناداته بالاستقلال، فكان يقرأ مناشيره وصحيفته العربية باهتمام، وكان عميد حزب الشعب الجزائري الثائر "إبراهيم غَرَّافة"[2] من أصدقائه الكبار، وهو من بلدة "تغردايت" شُعلةٌ من وطنيةٍ لا يخبوا لها أُوار...، كان تاجراً مثلما كان شاعرنا بلعيد، لكن محله فوق ذلك كان نادياً لحزب الشعب يرتاده الصحفيين اليساريين والشيوعيون ممن كانوا يفضحون تجاوزات الاستعمار، وقد كان دكانهما متجاورين تقريباً، فتعاشرا مدة طويلة في الجزائر العاصمة، خاصة خلال الثلاثينيات وبداية الأربعينيات من القرن الماضي، وكانا متشابهين في كثير من الخِلال، فجمعتهما النزعة الوطنية ونصرة الإسلام واللغة العربية.

1 - ينظر: السابق، ص191، بتصرف.

2 - أحد الأعضاء الوطنيين البارزين في حزب الشعب الجزائري في الثلاثينات، قضى شهيداً سنة 1947؛ ينظر: نفسه، ج2، ص258.

في الصورة: الشاعر "**مفدي زكرياء**" الثاني من اليمين وبجانبه الشهيد "**إبراهيم غرَّافة**"، وهما بين يدي البوليس الفرنسي يوم 17 جويلية 1937، وذلك بعد ثلاث أيام من المسيرة التي نظمها "حزب الشعب"، وقد أنشد الجزائريون خلالها النشيد الوطني الأول "**فداء الجزائر روحي ومالي**"[1] بحماسٍ كبير، مطالبين باستقلال الجزائر، رافعين الرايات الوطنية في عاصمة الجزائر.

وللشاعر عمر بلعيد اتصالٌ بالعديد من الوطنيين الجزائريين؛ منهم من هو من أبناء بلدته بريان مثل محمد بن عمر أولاد عابو؛ وقد كان أحد الوطنيين القياديين في الحزب الشيوعي الجزائري، وكذلك بُودِي عمر وإبراهيم بن سليمان لَمنوَّر والقائد أَوْرَاغْ وآخرين...، وبعضهم الآخر كان ينشط في الأحزاب السياسية بالجزائر وعَمالاتِها الشرقية والغربية، ومقصدهم بالانخراط في تلك الأحزاب السياسية هو خدمة المصالح الوطنية، طبعاً من دون أن يشعر بهم الفرنسيون، فكانوا بذلك يستطيعون أن يُخلِّصوا أيَّ مناضلٍ وطنيٍ قد يُعتقل من طرف البوليس الفرنسي لِمَا لهم من حُظوة في صفوف أحزابهم، ولَمَّا قامت الثورة التحريرية كان الشاعر عمر بلعيد قد تُوفي، ومن بقي من أولئك الأفذاذ شارك بالغالي والنفيس في نصرة الجزائر، فقضى بعضهم شهيداً في الثورة على غرار الشهيد إبراهيم بن سليمان لَمنوَّر.

ويبدو من شعره اعتزازه الكبير بالروح الوطنية فهي جُلُّ ما يأسر قلبه، إذ يقف القارئ لديوانه على أسفه للحالة التي آل إليها شباب وطنه من انغماس في الشهوات وسعي وراء الملذات.

وقد بينت لنا قصيدته بمناسبة زيارة الدكتور بن جلول لوادي مزاب في أفريل 1929، أثر الخناق السياسي الذي فُرض على مزاب والجنوب الجزائري عموماً، لأنه صار يعج بالوطنيين، كيف لا ومنهم "مفدي زكرياء" و"إبراهيم غرَّافة" العضوين البارزين في "حزب الشعب الجزائري"، والذين أقضا مضجع المستعمر الفرنسي، حتى خافت أن يمتد نشاطهما إلى الجنوب...، وقد كانت زيارة الدكتور بن جلول إلى مزاب متنفسًا كبيرًا، حتى إن الشيخ بيوض الذي

[1] - نشيد "فداء الجزائر روحي ومالي" من نظم مفدي زكريا، وقد طُبع بالمطبعة العربية بالجزائر للشيخ أبي اليقظان.

كان تحت الإقامة الجبرية ولم يُسمح له بأي تجمع شعبي، اغتنم فرصة زيارة ابن جلول لمزاب للقاء جماهير المواطنين..

زيارة فرحات رئيس الحكومة المؤقتة إلى مزاب، بُعيد الاستقلال بقليل؛ من اليسار إلى اليمين: الشيخ إبراهيم بيوض، فرحات عباس، الدكتور ابن جلول، والشيخ سليمان بن داود ابن يوسف.

"ديوان الغريب" الموضوعات والمضامين.

يحفل ديوان الغريب بمواضيع عديدة ومتنوعة، وتظهر في كثير من القصائد شخصية الشاعر عمر بلعيد المميزة في طابعها الاجتماعي والإنساني، والتي تبلورت من خلال احتكاكه بالناس من مختلف المشارب، وهو ما يؤكد التصاقه وقربه من مختلف فئات مجتمعه، إذ كان يُجلُّ كلَّ عزيزٍ فيه، ولا يفرِّق بين الناس؛ فالكل عباد الله...، وحتى عندما أنشأ فرقته الفنية الصوتية الخاصة كان يشارك بها في كل أفراح سكان بلدته بريان وحتى خارجها، وكل من يدعوا فرقته من الصالحين لإحياء فرح عنده يُلبِّي دعوته بسرور، ويحيي له الحفلة في أحسن ما يكون، وقد كانت الأعراس وما تزال بميزاب تُحيىَ من دون مقابلٍ ومن دون تمييزٍ، لأنَّ فرح كل عضو ف البلدة هو فرح للمجتمع لهذا يشارك الجميع في إنجاحه...، وفي ذلك يقول:

21 فِي ازْمَانِي مَانِي نَاكَرْ نَمْشِي مَنْ وَلَى لَلنَّاسِي

22 بَاقْرَايْنِي وُبهُم نَنْصَرْ وَاعْرَاسْ البَلاَدْ اعْرَاسِي[1]

23 مَا نَخْتَارْ فِيهُمْ مَا انْخَيَّرْ مْعَ انْفُوسْ النَّاسْ انْفَاسِي

24 نَقْرَا وُنَزْهَا وُنَسْهَرْ نَرْفَعْ امْعَاهُمْ احْوَاسِي[2]

بالإضافة إلى ذلك فقد صور لنا الشاعر ببراعة أدبية وفنية عدة مناطق من وطننا الجزائر، بدأً بمسقط رأسه بلدة بَرَّيَّانْ من قرى وادي ميزاب بمدينة غرداية، وكذا فعل مع مدينة الجزائر العاصمة أين أقام ردحاً من الزمن مشتغلاً بالتجارة، وحين زار مدنًا أخرى من الوطن مثل: سطيف وسيدي بلعباس والبُليدة والأغواط وغيرها...؛ ويظهر من خلال وصفه لجمالها تعلقه بكل شبر من هذا الوطن المعطاء، حتى وإن كان في سنوات الثلاثينيات يتخبط في عز مخلفات الأزمة الاقتصادية العالمية، لكن ذلك لم يمنعه من تلمس طبيعة وطنه العذراء واستنشاق نسائم أريافها وواحاتها..، ففي مدينة "سيدي بلعباس" أعجب الشاعر بالفرق الموسيقية التي تجوب الشوارع، ومنظر الصناعات الحرفية اليدوية التي كانت تزخر بها المنطقة، وكذا سيارات الأجرة المتاحة للجميع، وكذا نوادي الجمعيات الثقافية والأدبية.

ولم يُنس هيام الشاعر بالطبيعة مآسي وطنه والتخلف الاجتماعي وبؤس الحياة التي صار إليها سكانه، فكان هناك إيمان عميق يدفعه إلى استنهاض الهمم، وهو كثير ومتنوع في الديوان.

في الديوان العديد من القصائد التي يطلعنا الشاعر من خلالها على نزعته الإصلاحية الواضحة وعلى حبه لوطنه ونصرته لأعمال الحركة الإصلاحية في كامل القطر الوطني لاسيما في ميزاب والجزائر العاصمة، أين

[1] - من العادات الاجتماعية الطيبة بميزاب إلى اليوم، أن المجموعات الصوتية والمسرحية تنشط في إحياء ليالي الأعراس للجميع بدون مقابل، وتجري نشاطاتها في أجواءٍ بهيجة مليئة بالأنس والفوائد الأدبية والتربوية في نفس الوقت.

[2] - عمر بن عيسى بلعيد البرياني، ديوان الغريب، تح: يحيى بن بهون حاج امحمد، العالمية العالمية للخدمات الطباعية، الجزائر، ط1، 2010، ص 14.

نشطت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كثيرا ودافعت بإخلاص عن القيم الدينية والخلقية، وطورت التعليم الحر في المحاضر ونصرت اللغة العربية بكل إيمان، فتعلق الشاعر بأقطابها وصار يسعى إليهم في كل محفل قريب منه وُجدوا فيه، وقد طبع الجزء الأول من الديوان لأول مرة سنة 2010م ويحمل بين دفتيه 25 قصيدة مختلفة الطول والغرض.

النزعة الإصلاحية في "ديوان الغريب"

كان الشاعر عمر بن الحاج عيسى بلعيد فلاحاً في أوَّل عمره، ويظهر ذلك جليّاً في ديوانه من خلال إلمامه بحياة الفلاحة في ميزاب وحبه للنخيل ووصفه الدقيق لطبيعة الواحة في بلدته وغيرها.

ولما هاجر إلى الشمال واستقر في الجزائر العاصمة قبيل الحرب العالمية الأولى اكترى مَحلاً صغيرا لعمله ونومه، مثل الكثير من أبناء نوعه وجنسه من المزابيين، ممن اشتهروا بالهجرة إلى الشمال والضرب في الأرض طلباً للرزق؛ وصار يصنع القِفاف، وهي صناعة هادئة نظيفة يستطيع معها التفكير ونظم الشعر، وقد آثرها لهذه المزايا، فدرّت عليه الكَفاف، وقد كان صنَّاع اليد يتقن صنع القِفاف، فاشتهرت بضاعته في الجزائر العاصمة فوقع الإقبال الكبير عليها، وكان يعيش وحده في بيته في الجزائر العاصمة، فذاق وبال العزوبة في الشباب مع كثرة المغريات، ووحشة الوحدة في الدار، فأنشأ في ذلك قصيدة، وأشار إلى ذلك في عدة قصائد، وكان شعره مرآة لحياته الخاصة، كما كان مرآة لميزاب وبلدته بريَّان والجزائر عامة[1].

قصيدة في نشأة "المطبعة العربية" بالجزائر

كما هو معروف فإن الشيخ أبي اليقظان قد خاض التجربة الصحفية بداية من سنة 1926م بإصداره أول جريدة عربية له هي "وادي ميزاب" والتي كانت تُطبع بتونس لفقدان المطابع العربية وندرتها بالجزائر، وقد لقي في ذلك عنتاً كبيرا لم يوقف طموحه في إنشاء مطبعة عربية بالجزائر رغم تعرض جريدته البِكر للمصادرة من طرف الإدارة الاستعمارية سنة 1929؛ إذ لم يزده ذلك إلاَّ إيماناً ويقيناً بضرورة إنشاء مطبعة عربية تحمل عبء المثقفين وأنصار اللغة

[1] - ينظر: نفسه، ص190، بتصرف.

العربية تشجعهم على طبع كتبهم بأيسر السبل وأقل التكاليف في وطنهم الجزائر.

وبالفعل خلال سنة 1929 صار يفكر جدّياً في بعث هذا المشروع الطموح الذي يتطلّب ولاشك أموالاً وجهوداً وفريقاً من العاملين ينوء بها عاتق أبي اليقظان وحده، وهذا ما جعله يطرح هذا المشروع على إخوانه الغيورين من رجالات الإصلاح بوادي ميزاب من أمثال الشيخ بيُّوض والشيخ عدُّون والشيخ عبد الرحمن بكلّي، والشيخ الثميني والسيد عيسى تعموت معاونه وعضده في هذا المجال[1].

وفي سنة 1931 تكللت جهود الشيخ أبي اليقظان بإنشاء "المطبعة العربية" بالجزائر العاصمة، بفكرته واجتهاده؛ وقد آزره في ذلك الغيورين من أنصار الحركة الإصلاحية، وتحمّل المزابيون الأعباء المادية لهذا المشروع الكبير، فاعتمد على مساعدة التجار المزابيين المقتنعين به في جميع نواحي القطر بما قدموه للشيخ أبي اليقظان من تبرّعات أو قروض معجلة أو مؤجلة[2]...

ويقول الشيخ بيُّوض في رسالة بعث بها من خنشلة بتاريخ 4 ذي الحجة 1355هـ/الموافق لـ 27 فبراير 1936م؛ مواسياً ومؤازراً للشيخ أبي اليقظان في جهاده الصحفي: "...وأما التآمر على الجريدة والمطبعة فما هذه بأول مرة بُذلت الجهود في سبيله فصبراً، وثباتاً، وتجلّداً أيها الشيخ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد عودنا السلامة والنجاة واللطف في قضائه ما أخلصنا في علمنا، وحسنت نياتنا، وجاهدنا في سبيله لوجهه، لا لغاية دنيوية ولا لغرضٍ شخصي، وما هذه الغمرة بالنسبة لما نجوت منه من غمراتٍ أم تقول ما كلّ مرة تسلم الجرّة، قد يكون في ذلك شيء من الحق، ولكن قد تسلم الجرة في كل مرة إذا كانت محاطة بإطار

[1] - ينظر: محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1980، ص58.

[2] - ينظر: محمد ناصر، المطبعة العربية معلم وطني مجهول (1931- 1962)، مكبة الريام – الجزائر، ط1، 2008، ص7.

فولاذي من حسن النية والإخلاص وقصد الخير، فخفف أخي من تأثرك، وهدئ من روعك فستنكشف الغمَّاء وتنجلي الغمرة"[1].

يقول الشاعر عمر بن عيسى بلعيد في قصيدته المسماة: "قصة المطبعة الناشئة التاريخية العربية لجريدة وادي ميزاب المغرب؛ من نظم الملحون للناشئ الغريب الجزائري".

01 بُشرَى فِي عَالَم اثلاَثِينْ مَن بَعد المِئَات احسَبْ

02 قُل اميَا مَن عَشرَتِينْ لَلمَسِيحِيَّة يُنسَبْ

03 بُشرى لَنَا مَجمُولِينْ وَخُصُوص أهْل المذهَبْ[2]

04 أهل الحَق وَالسُّنِّيينْ أهل الشَّاجعَة تَرهَبْ

05 هُو عِيد بِين العِيدِينْ عَاشَا وَاثبَت "المغرَبْ"[3]

وهنا إشارة إلى التضحيات التي بذلها الشيخ أبي اليقظان من أجل المحافظة على سير جريدة "المغرب" والتي كانت تُطبع عند "مطبعة العليوية"، ومن عددها السابع والعشرين الصادر بتاريخ: 5 مارس 1931، صارت تطبع بـ"المطبعة العربية"؛ وقد لاقت هذه الجريدة العنت والتضييق من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر بسبب خطتها التي تميزّت بتصعيد الوطني الصارخ التي تزامنت مع عزم فرنسا إحياء الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر[4]...

06 كان يَاخُذ تَحت اليَدِّينْ وَاتهاونُوا به مجَرَّبْ

07 في أنفُسِهِم سَابِقِينْ بعد أن أعْيَات اثْرَاقبْ

---

1 - ينظر: نفسه، ص13.

2 - أي: الإباضية؛ لأنَّ جرائد أبي اليقظان ومطبعته العربية كانت بحق اللسان الرسمي للأمة المزابية آنئذٍ، أنظر: محمد مناصر، المطبعة العربية، ص7.

3 - جريدة "المغرب" للشيخ أبي اليقظان؛ وقد صدر منها 38 عدداً، انطلقت يوم 1930/05/29 وصدارتها الإدارة الاستعمارية يوم 1931/03/09.

4 - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية (1847 – 1954)، نشر، ألفا ديزاين - الجزائر؛ ط2، 2006؛ ص101 وما بعدها.

08 فيقراها النَّاظِرِينْ يَطَّالعُوا عَلَى مَا وْجَبْ

09 بَعد أنْ اتْنَاوَلْهَا اليَدِّينْ تخرج لَنَا تَتْنَاوَبْ

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف شيءٍ من أريحية الأمة المزابية التي ميّزت انطلاق المطبعة العربية رسمياً؛ وقد بذلت جهوداً حثيثة في مؤازرة الشيخ أبي اليقظان في جهاده الصحفي المتميِّز.[1]

10 ـا لِيهَا العَارِفِينْ نْ لَعْظَمْ وُ لَعْصَبْ

11 ا الرِّجالْ قَائِمِينْ شيءَ اعليهُم يَصْعَبْ

12 ـى اللهُ المتْعُوبِينْ[2] ها وَكَانُوا سَبَبْ

13 ا احِرضُوا الرَّاغِبِين ضَاعْ حَقْ مَنْ طْلَبْ

14 ، مُطْمَئنِّينْ بَعدْ اَدْوَاحْهَا تْرتَّبْ

15 رَى لِلمُؤمِنِينْ ذْيَعْ بِيهَا قَرَّبْ

16 تَسخِيرْ فَتْح العَينْ هَا عَالِي المَنصَبْ

17 رَى لِلوَارِدِيـنْ يَقصَدْهَا يَشْرَبْ

18 ءْ اينَبَّعْ وَابْذِينْ[3] وَالْذِيذْ إِيصَبْ

19 قي الجَرِيدَة[4] للحِينْ طْلع يَةْ كِالقُطبْ

20 رة بِينْ اسْحَابِينْ يَضُرُّها اَلظَّبَّبْ

---

1 - أنظر تفصيل ذلك عند: محمد ناصر، المطبعة العربية، ص9 - 20.

2 - أي الذي تعبوا من أجل قيام المشروع واستمراره ونجاحه.

3 - أي: حُلو.

4 - يريد: جريدة "المغرب" كما أسلفنا.

لقد تصدّى الشيخ أبي اليقظان لمكائد كثيرة وعديدة في سبيل سير مشاريعه الفكرية وعلى رأسها جرائده الإصلاحية؛ فها هو يُزجي سفينتيه جريدة "المغرب" و"المطبعة العربية" في خضمِّ الجزائر التي تنوء باستعمارٍ طال ليله، وها هي الإدارة الاستعمارية تكيد لكلِّ مشروعٍ نهضويٍّ إصلاحيٍّ العداء الشديد؛ بصفةٍ مباشرة أو غير مباشرة؛ أي بواسطة أذنابها ممن عدموا الضمير الوطني؛ وفي ذلك يقول:

21 ضَرَّتْهَا الحَاسِدِينْ شْ عليهم تَغْلَبْ

22 باً للذَّاكِرِينْ ا ا لسَانْ يْجَاوَبْ

23 غْ كيد الخَائِنِينْ لَلطَّرِيقِ امْصَوَّبْ

24 كيد لَلْعَدْيَانِينْ هُمْ بَالْمَخْلَبْ

25 انْيَابْهَا دَاخْلِينْ وَاشْبَالْهَا تَعَطَّبْ

26 هَا الله _آمِينْ _ ت حُرَّة ما تْغَيَّبْ[1]

27 ُوعَة فِي كلّ حِينْ اجْوَانَحْهَا تَحْجَبْ

28 ا بِهَا زَايْدِينْ ُل وَالحُقْرَة[2] ذْهَب

29 ة صالح نَعْمَتِينْ ْ قَدَّامِي نَحْلَبْ

في وصف المطبعة العربية وآلاتها وعمالها:

30 الْمَطْبَعَة يَقِينْ بَالخَفَّة تَزْرَبْ

31 الأَمطَابَعْ مَرتِينْ[1] تْحَافَة[2] مَن اكْسَبْ

---

[1] - هنا الخوف الصريح من احتجاب الجريدة، وقد حَجَبَ المستعمر قبلها جريدتي "وادي ميزاب" و"ميزاب".

[2] - اَلْحُقْرَة: بقاف مثلثة؛ هو الظلم باللسان الجزائري الدَّارج، وإن كان أصل الكلمة فصيحاً وهو الاحتقار.

32	الدِّظام	وَ النَّـتْـقِـينْ	ـِيدَةِ "المغرِبْ"
33	كُتُوب	الَمطبُعِين	رَبِيَّة تَـكتَـبْ [3]
34	ـْ	انْشُوفْهَا بَالعَينْ	يبْهَا غَايَة تَـعْجَبْ
35	ـمَّال	مْنَـبْـهِـينْ	نَوْرُوا بَالاَدَبْ
36	ـِمُوا	بَالزَّائِـرِيـنْ	، جَامهُمْ يَتْـرَحَّـبْ
37	ـلاَيَـصْهُم	بَـنِـينْ [4]	ِّي عليهم إِيرَاقَبْ
38	الصَّنْعَة	مَشْغُولِينْ	وَاحَدْ مَا يَسْلَبْ
39	اَركَانْهَا	ضَاوْيينْ	حَلْ جَا فَى الْمَنَكَبْ
40	ـْ	اَنْوَامَرْ [5]	ـْتَلْفِين ، الأَمْوَاشَن [6] رَكَّبْ
41	الدَّوزَانْ	مَحْطُوطِينْ [7]	صَنْعَة تُوجَبْ
42	ـْ	اَحْرُوفَهَا سَرَدِينْ [8]	اَطْوَابَلْ [1] يَّادْ اجْلَبْ

---

1 – أي: تُشبه المطابع الكبرى أو تتجاوزها مرَّتين.

2 – أي: زينة وبهاء.

3 – صدر بالمطبعة العربية من الكتب العربية: ديوان أبي اليقظان، وكتاب الجزائر، والمسلمون في جزيرة صقلية لأحمد توفيق المدني، وسليمان باشا الباروني تأليف الشيخ أبي اليقظان، تاريخ الجزائر لعبد الرحمن الجيلالي (جزآن)...؛ ينظر: محمد ناصر، المطبعة العربية، ص41 – 42.

4 – أي: أماكنهم معلومة.

5 – أي: الأرقام، وأصل الكلمة بالفرنسية (les numéros).

6 – أي: الآلات، وأصل الكلمة بالفرنسية (les machines).

7 – أي: أدوات العمل موضوعة.

8 – هنا تشبيه للحروف الحديدة وهي مصفوفة في صناديقها كأنها صناديق سمك السردين، وهو منظر تعود رؤيته عند بائعي السمك في السوق.

43	تْ كِيفْ اَمْسدَتْفِينْ [2]	اكَـر بَاشَا حَرْبْ
44	وفْ اذْكِيرْ [3] ـْلِيِّينْ	عِينْ اَسْنَانْ اَرْنَبْ
45	اَحْرُوفْهَا مَوْزُونِينْ	اَحْرِيرْ مْكَبَّبْ
46	قُلْتْ : مْذَهْبِينْ	يَقْطَعَ وَايْذَوَّبْ
47	ـْنَى لْلْفَاهْمِينْ	يَنْطَقْ مَسْتَعْرَبْ
48	عَنْكَ الْمَكمُنْدِينْ [4]	الْتـهُم انْشَيَّبْ
49	ـْ الْمَـاشِينَة[5] رِينْ	تَطْلَعْ اَتْقَرْقَبْ [6]
50	اغَلْهَا اَمْحَـركِينْ	اَلوَرْقَة تَقْلَبْ
51	كَمْها زَيَّارْ [7] تِينْ	ـرِبْر فُوقهَا اِكَبْ [8]
52	يَخ اَمسَطرْ مُبيِنْ	نُو نَعْتْ اَليد اَكْتَبْ
53	هُو اقْلاَمْ مَشْقُوقِينْ	الكَتْبَة مَا تَتعَبْ
54	ضَنِّي عَنْدْهَا سَكِّينْ	اَلوَرقَةْ تَسْرَبْ
55	ـرْ اَسْطُورْ مَـقْودِينْ [9]	ـَدْ فَالوَرقَ تَصْهَبْ

1 – أي: الطاولات؛ وأصل الكلمة بالفرنسية (les tables).

2 – أي: مرتَّبين ومنضَّدين.

3 – أي: الحديد الصلب.

4 – أي: المتقوقعين والجامدين؛ ويقصد بهم الانهزاميين.

5 – أي: الآلة؛ وأصل الكلمة بالفرنسية (la machine).

6 – أي: تصدر الأصوات من حركتها.

7 – أي: ضاغطة أو ملزمة، وهي آلة ضغط الأوراق وتنضيدها.

8 – أي: يُصبّ.

9 – أي: معتدلين.

56 ـْ أَسوَد عَامْرِينْ قُول اَعْنَاقْ اعْنَبْ

57 "اَلْمَغْرِبْ" اَسْمِينْ[1] اشِيء فَخَر اَنسَبْ

في مدح مدير المطبعة وهو الشيخ أبي اليقظان؛ وقد اعترف بجهوده أعدائه قبل أصدقائه؛ وشهد الجميع لخطة جريدة "المغرب" الموفقة ونهجها السويِّ؛ فالألسنة تلهجُ لذلك بالدعاء بمزيد من النجاحات قائلاً:

58 ي اليَقظان" سَامْعِينْ ْ في عَرْشُو يَخْطَبْ

59 المْنَة وَالْعِينْ[2] سدِقَاءْ وَالأحِبْ

60 الذَّكَّارْ خَاضِعِينْ اللِّي شَنَا يَتَنَقَّبْ

61 وا مَنْهَا مَدْهُوشِينْ صَابُوهَا مَا تَكْذَبْ

62 ْ وَجْه الفَارِحِينْ دَدْ جِسْمُ يَشْحَبْ

63 نَتْمَنِّى فَايْزِينْ بْنَا مَا خَيَّبْ

64 أُمُورْ أُخْرِينْ ى الصَّلاَ لْخِيرْ اَنْحَبْ

[1] - أي: يخرج عنوان الجريدة "المغرب" سميكاً.

[2] - أي: مُهتمِّين.

خاتمة:

65 قِصـّة الْمَسْكِينْ ابْلاَدْ النَّاسْ اَمْسَيَّبْ

66 ْجَزَايرْ حَوَّاسِينْ[1] ي خَدْمَة لاَ مَكْسَبْ[2]

67 عُمَر"[3] ي الصَّادِقِينْ ْ مْعَ مَنْ يَصْحَبْ

68 يَحْمَلْ الرَّادِلِينْ[4] ب فِي سَاعَة يَغْضَبْ

69 مْعَ الْمُحسِنِينْ َعْ فَالله نَرْغَبْ

وقد انتهت القصيدة بدون توقيع كما يظهر في آخرها؛ والراجح أنها تعود لسنة 1931م وذلك قبيل توقيف جريدة "المغرب" عن الصدور في 09 مارس 1931م، فقد ذكر الشاعر جريدة "المغرب" باسمها في أكثر من موضع في القصيدة بدءاً بالعنوان وفي البيت 05 والبيت 32 إذ يقول:

05 عِيد بِين العِيدِينْ ا وَاثبَت "المغرَبْ "[5]

32 الذِّظَام وَالتَّدْقِينْ ِيدَةِ "المغرِبْ "

ويمكن اعتبار هذه القصيدة ومثيلاتها في الشعر الملحون الذي كان رائجاً في الجزائر آنئذٍ من عيون القصائد التي مدحت نشاطات المصلحين في الجزائر وآزرتها في جهادها الطويل من أجل النهوض بالجزائر من كبوتها وهي تحيى ذكرى استعمارها المئوي تحت نير أعتا قوة استعمارية آنئذٍ، ومن الأقطاب الذي

---

1 - **أي: سائحين.**

2 - **الراجح أنّ هذه مبالغة من الشاعر؛ لأنه في الأصل صاحب حرفة وتجارة، وقد تكون ربما ربما إشارة منه لوضعية التجارة بالعاصمة وهي تعاني من تبعات الأزمة الاقتصادية العالمية؛ ولا شكّ بأنها قد مسَّته ومسَّت غيره كثيرين؛ وقد تصدَّت جريدة "المغرب" طويلاً للحديث عن هذا الموضوع.**

3 - **هو: الشاعر عمر بلعيد ناظم القصيدة.**

4 - **أي: الأراذل.**

5 - **جريدة "المغرب" للشيخ أبي اليقظان؛ وقد صدر منها 38 عدداً، انطلقت يوم 1930/05/29 وصدارتها الإدارة الاستعمارية يوم 1931/03/09.**

وقفوا حجر عثرة أمام الأطماع الاستعمارية في الجزائر وحتى في غيرها من المستعمرات؛ نجد الشيخ إبراهيم أبي اليقظان صاحب المطبعة العربية والجرائد الثماني الإصلاحية؛ فقد أبلى بلاءً حسناً في هذا المضمار حتى حاز فيه السبق، ولعل قراءة متأنية لكتاب "أبي اليقظان وجهاد الكلمة"[1] تشفي الغليل في هذا الموضوع.

كما يمكن اعتبار هذه القصيدة نوعاً من الدعاية التي احتاج إليها الشيخ أبي اليقظان في الترويج لمطبعته وصحافته، فقد لاقى في سبيل سيرهما عنتاً ومُعاناةٍ لا يعلم شدتها وضيقها إلاَّ الله سبحانه وتعالى، فتأتي هذه القصيدة وغيرها من أشعار عمر بلعيد البريّاني لتخفف عنه بعض ما يلاقيه الشيخ في يومياته مع الإدارة الاستعمارية الفرنسية وأذنابها من الجامدين والمعارضين للفكر الإصلاحي بصفة عامة.

"قصة تاريخية في خواطر جريدة وادي ميزاب"

تعد جريدة "وادي ميزاب" باكورة جرائد الشيخ أبي اليقظان الثمانية؛ فهي أول جرائده صدوراً، وعنها يقول أستاذنا الجليل الدكتور محمد صالح ناصر: "...فعلى الرغم من إمكانية اعتبارها امتدادًا للصحافة الإصلاحية، لأنها شبيهة بجرائدها اتجاهًا، فإن الذي يفردها ويميِّزها عن باقي الصحف العربية الأخرى هو ما تنفرد به من حرارة لهجة في مخاطبة السلطة الاستعمارية الحاكمة وصراحةٍ مباشرة في معالجة الأمور، ومواقف ثابتة في مواقف الظلم والاضطهاد، وتعقّبٍ علنِيٍّ لكلِّ مظاهر الانحراف، مما جعلها تفتح عدة جبهات في وقت واحد..."[2].

لقد عُرف الشيخ أبي اليقظان مجاهداً كبيراً بقلمه في سبيل القضايا العادلة، ففي أكتوبر من سنة 1926 بادر إلى إنشاء أول جريدة عربية باسمه تحت عنوان (وادي ميزاب) أرادها لتكون لسان حال الفكر الإسلامي عموماً والجزائري

---

[1] - ينظر: محمد ناصر، أبي اليقظان وجهاد الكلمة، نشر ألفا ديزاين – الجزائر، ط3، 2006، كله.

[2] - يُنظر: محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، دار ألفا الجزائر، ط3، 2006، ص152.

خصوصاً[1]، ولأنَّ قلمه لا يُهادن ولا يُنافق، فإنه تجرع في سبيل سير صحافته الغُصص، وتحمل المشاق المادية المرهقة؛ ويكفي أن نعرف أن جريدته هذه كانت تُحرر بالجزائر وتطبع بتونس، ثم تعود بالقطار لتوزع في الجزائر هكذا كل أسبوع طيلة عامين ونصف لم تتخلف فيها عن الظهور قطُّ، وكان يعاونه في طبعها زميلاه الشيخ محمد الثميني، والشيخ قاسم بن عيسى تعموت، وليس من السهل أن يتحمل فردٌ مسؤولية جريدة تُطبع بتونس وجمهورها ومحرروها بالجزائر، على أن تصدر في موعدها المحدد لها من كل أسبوع بدون تخلف مدة ستة وعشرين (26) شهراً، أصدرت خلالها 119 عدداً[2].

أهداف جريدة وادي ميزاب:

ذكر الشيخ أبو اليقظان _رحمه الله_ في افتتاحية العدد الأول من جريدته "وادي ميزاب" مجموعة من الأهداف التي عمل وفقها وتحققت جميعها حتى كانت السبب في تعطيل جريدته تلك، وهي:

أولا: تأييد الحق والحرية والعدالة والمساواة بأتم معنى الكلمة بين كافة الأجناس المتساكنين في الجزائر.

ثانيا: السعي في بث روح الإتحاد والتضامن بين سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم، وتأييد الصلات المتعددة بينهم، ومعاضدة الصحافة الأهلية الحرة في كل ما ترتاده من طرق الإصلاح، وبذل الجهد في إزالة الشحناء والبغضاء وسوء التفاهم.

ثالثا: أن تحسن الوساطة بين الأمة والحكومة بإزالة سوء التفاهم بينهما، وتشخيص أدواء الأمة وآمالها وإبلاغ رغائبها بكل صراحة.

رابعا: بذل الجهد في مقاومة الرذائل ونشر الفضيلة.

خامسا: حث الأمة على اكتساب العلوم والمعارف وإحياء اللغة العربية وتربية أبنائها تربية إسلامية صحيحة.

---

[1] - ينظر: حمو عيسى النوري، نبذة من تاريخ المزابيين، مطبعة البعث، قسنطينة، ط2، 1992، ج2، ص70.

[2] - ينظر: نفسه، ص151 وما بعدها.

وغايتها في كل ذلك ترقية مدارك الأمة لرفع مستواها بدقة، وأحكام مستوحاة من واقع الأمة الجزائرية في بداية نهضتها، في كل الميادين الحيوية اجتماعًا واقتصادًا وسياسة وثقافة، وأشد ما كانت عنايتها ملحّة وأكيدة هو بناء الشخصية الوطنية والتشبث على مقوماتها، سواء أكان ذلك في محيط القطر كجزائريين أو في دائرة الوطن العربي الإسلامي كعرب.

وقد خاضت الصحيفة منذ بدايتها في كل الميادين الحساسة خاصة الميدان السياسي، والاجتماعي والديني، والميدان العربي والإسلامي، وكذا التربوي والثقافي، وحتى الاقتصادي...

ولأن أبا اليقظان كان صريحا فقد نهج بجريدته منهج الصراحة والقصد في معالجة المواضيع، وقد أعلن عن منهجها في إحدى افتتاحياتها: "إن منهج الجريدة هو الصراحة والنزاهة والصدق والإصداع بالحق وخدمة الصالح العام، لا يعرف إلى التدجيل والمواربة والتملق والكذب والنفاق سبيلا، فهي تجتهد قدر المستطاع في إحقاق الحق وإبطال الباطل بكل إقدام وشهامة"[1].

تعطيل الجريدة:

نظرًا لجرأة الجريدة وصاحبها كثر عليها أعدائها ومناوءُوها وكانوا في بداية الأمر من المتعصبين، أعداء الحركة الإصلاحية وبعض الأنانيين من الأغنياء الذين لا يحبون الخير والنفع إلاَّ لأنفسهم ولو على حساب أمَّتهم؛ إذ كبُر عليهم أن تفضح الجريدة سرائرهم للناس، فصاروا يُخططون ويدبرون لإسكات صوت الجريدة الصارخ فكتبوا العرائض العديدة وذيلوها بالإمضاءات، وسارعوا بها إلى الهيئات الفرنسية العليا متحججين فيها بكل دنيئة ومنقصة، حتى سقط في أيديهم وعرفوا عدم جدوى ذلك كلهن فغيروا الاتجاه عوض المعارضة المباشرة عمدوا على تأليب حفائظ المبشرين والمترجمين، مستثمرين ضغائنهم وأحقادهم ضد الجريدة والإسلام، مؤججين فيهم حمية المسيحية ونعرة العسكر، حتى كان نتيجة ذلك صدور قرار من الوزارة الداخلية مؤرخ في 18 جانفي 1929 يأمر بتعطيل "وادي ميزاب" وتحجير بيعها وطبعها وتوزيعها،

[1] - ينظر: نفسه، بتصرّف، 158 وما بعدها.

وذلك لشدة لهجتها، كما أمر بتعطيل كل ما سيصدر مما يشابهها في شدة اللهجة سواء باسم أبي اليقظان أو غيره، سواء أطبع في تونس أو غيرها".

وفي هذا الحوار الذي جرى بين أبي اليقظان وقاضي التحقيق إثر تعطيل "وادي ميزاب" تظهر صورة التفكير الاستعماري الحاقد من جهة، وتبرز من جهة أخرى النموذج السامي للكفاح الوطني بالقلم في أرقى صوره، وقد أورده الشيخ أبو اليقظان كاملاً في مذكراته؛ وفيه يقول:

"في 03 ماي 1929 استدعاني السيد قاضي التحقيق إليه في "دار العمالة" بعد أن أضاف إلى ملف الجريدة جميع ما يتعلق بها، فأجرى تحقيقاً معي دقيقاً مُحرجاً واسعاً في يومين... وهذا نصه:

هو: هل تعرف لماذا استدعيناك إلى هنا؟!

أنا: لا أعرف ذلك.

هو: هل تعرف الفرنسية؟

أنا: لا أُحسنها.

هو: إنا استدعيناك لأجل قضية الجريدة، وتعطيلها، لا يخفاك أنَّ جريدة "وادي ميزاب" قد تجاوزت حدها، وأساءت التصرف في الحرية المخولة لها، وقد نبهك "مسيو ميرانت" مراراً عديدةً، عسى أن تعتدل عن في خطتك ولم تكترث به، بل لم تزل تُمعن في أغلاطك، ولم تترك ناحية من نواحي الحكومة إلاَّ ومسستها.

أنا: آسف جد الأسف، لوجود حسّادٍ كثيرين، وأعداء ألدَّاء يشوهون لكم الحقائق، سيما وأنَّ الترجمة التي ترجمت بها فصول الجريدة كانت مُحرَّفةً، وهي التي أوقعت التشويش، وأوغرت صدر الحكومة على الجريدة.

هو: مُحال أن يقع التحريف من التراجمة، فإنَّ للولاية العامة مترجمين يؤدُّون واجبهم كما هو، فها نحن مبيِّنون لك شيئاً من ذلك: لقد كتبتَ فصلاً في الاعتماد على النفس أوضحت فيه أن ليس للجزائريين في فرنسا أيُّ منفعة، وأنها لم يكن لها عليهم أيّ مزيَّة!

أنا: أما أولاً: فإنَّ هذا كتبته منذ جانفي 1927.

وأما ثانياً: فقد باحثني فيه (ميسيو ميرانت) سابقاً واعتذرت له عنه.

وأما ثالثاً: فإنَّ القصد منه ليس إنكار جميل فرنسا التي مهدت الطرقات وغيرها، وإنَّما القصد من ذلك حملُ الأهالي على الاعتماد على أنفسهم بالتجارة والصناعة والزراعة حتى لا يكونوا كَلاًّ على خزينة الدولة وعالةً عليها.

هو: لقد كتبت فصلاً في وجوب تأسيس الأهالي للبنك الأهلي، وذكرت في أثناء ذلك أنه يجب استغلال الأهالي لبنكهم، محاولاً بهذا التفرقة بين الأهالي والفرنسيين.

أنا: كلاَّ لم أحاول ذلك، وإنما بيَّنتُ أنَّه يجب تأسيس ذلك البنك الأهلي على القواعد الإسلامية، خلاف ما عليه البنوك الحديثة...، ويسرنا من جهة أخرى أن يدخل الشباب المسلمون البنوك الأجنبية حتى يتعلموا النُّظم المالية لإدارة المصارف بفنون حديثة.

هو: لقد كتبت فصلاً تُبين فيه أنَّ أوربا قد ظلمت المسلمين، وافتكَّت أراضيهم واغتصبت حقوقهم، وأنَّ الإسلام منبع السعادة والعزة.

أنا: نعم، بينت فيه أنَّ الإسلام هو منبع السعادة والعزة للبشر عامة لا للمسلمين خاصة فقط، وأنا كحبيب للإنسانية ومريدٍ للخير لبني الإنسان أجمعين، فإنَّني أوضحت لهم ما فيه عزهم وسعادتهم.

هو: أفَتَحمل الأوربيين على الدخول في الإسلام؟!

أنا: كلاَّ، لم أقصد هذا، ولكن أحملهم على اقتفاء واتباع نظامات الإسلام.

هو: أفتعتقد أنَّ سعادة البشر في اتباع نظامات الإسلام دون غيره؟!

أنا: الأمر كذلك، فإنَّ الإسلام كفيلٌ بكل ذلك دون غيره من الأديان.

هو: إنك كتبت فصلاً في التجنيس بالجنسية الفرنسية، وبينت فيه أن المُتجنِّس بجنسيتها مارقٌ من الدين، لا حق له أصلاً في الجماعة الإسلامية.

أنا: نعم كتبت ذلك بصفتي مسلماً أومن بالقرآن الكريم، وما دمتم تعترفون بوجود القرآن الكريم وبما فيه، فلا يسعكم أنتم إلاَّ أن تُسلموا بذلك.

هو: عجباً، أليس المُتجنِّس بالجنسية الفرنسية مُسلماً مثلكم؟!!

هو: ليس كذلك، فهل تمنحون المسلم حق الجنسية الفرنسية، ثم تخوِّلونه حق التمتُّعِ بما يتمتَّعُ به المسلم من الحقوق الشخصية كالميراث، وتعدد الزوجات والطلاق؟!

هو: عجباً نحن نحاول جمع الشمل والأخوَّة والمساواة! وأنتم تفرِّقون بين العناصر المتساكنة!!

هو: لقد تعرَّضت لجماعة المُبشِّرين، وتحاملت عليهم بالشتائم، ولم تذكر لهم شيئاً من حسناتهم قط!!

أنا: كلا، بل إني قبل أن أخوض في ذكر فضائحهم، سردت جانباً من حسناتهم، من مواساة الفقراء، ومداواة المرضى، ولكن قلت إذ ذاك إن حسناتهم هذه في جانب مساوئِهم كاللاَّشيء؛ إذ لا عِبرة بهذه في جانب إفساد الدين والأخلاق التي هي أعز ما تملكه الأمة الإسلامية في هذه الحياة، والدولة نفسها قد التزمت على نفسها باحترام ذلك، وتدخُّلُ أولئك فيه على مرأىً ومسمعٍ من الحكومة يُعدُّ في نظرنا خرقاً لِمَا التزمت هي لنا به.

هو: لا تظنوا أنهم يعملون باسم الحكومة، كلا بل إنهم يعملون من تلقاء أنفسهم في القارة الإفريقية، ولا أحد يُعارضهم...

أنا: ذلك شيء هو من خصائص الحكومة، وهي بالخيار فيما تسلكه أمامهم، أما نحن في بلادنا فإننا نملك حق الذود عن ديننا وآدابنا طبقا للالتزامات والعهود.

... ثم سرد فصولاً أخرى لم يترك فيها لي فرصة الجواب عنها، مثل فصل السكة الحديدية الحجازية، وفصل الدفاع عن الموظفين الأهالي الممقوتين من رؤسائهم، ومثل فصل انتقاد إدارة غرداية لإطلاقها الجُناة بعد ملء بطونهم خُبزاً...

ثم قال: لأجل هذه الأغلاط فقد عطل لك السيد وزير الداخلية جريدتك، ولكن عوض أن تُبادر فتعتذر لدى السيد الوالي ليُسرِّحها لك، بادرت إلى كتابة العرائض والبرقيات[1]...

صدى تعطيل الجريدة:

لقد كان لتعطيل جريدة "وادي ميزاب" صدى واسع في الجزائر، وأقطار شمال إفريقيا كلها، وكذا المشرق العربي، وحتى أوربا، فقد تهاطل سيل من

[1] - يُنظر: محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، صفحات: 160 - 172.

برقيات الاحتجاج على وزارة الداخلية الفرنسية، مما اضطر معه الوالي العام (بورد) ليسافر إلى غرداية لتهدئة الخواطر الشعبية المهتاجة.

ومن مقال طويل نشرته جريدة "الصحافة الحرة" (La presse Libre) ورد ما يأتي: "...إنَّ الإجراء الذي اتخذه السيد (بورد) ضد جريدة "وادي ميزاب" هو حقاً ضربةٌ عنيفة، وإنَّ الظروف المحيطة بهذا التعطيل تسمح لنا بأن نُسيء الظنون بنوايا الموظفين...؛ يقول الموظفون الذين تُقلِقُهم جريدة "وادي ميزاب" إنها جريدة قُطَّاع طُرق، أعداء فرنسا، إنها جريدة تعارض سيطرتنا...".

وتلقى المشرق العربي الخبر بزفرة أسفٍ ولاسيما من المفكرين ورجال الإصلاح الذين كانوا يعرفون مكانة أبي اليقظان وجريدته، ومن هؤلاء: محب الدين الخطيب صاحب (الفتح)، ومحمد علي الطاهر صاحب (الشورى)، ورشيد رضا صاحب (المنار)، وآخرين كثيرين كأحمد زكي باشا الشهير بشيخ العروبة...؛ وفي الجزائر الشيخ ابن باديس _رحمه الله_، أسف كثيراً لفقدها وذكر ذلك بنبرة حزينة في جريدته الشهاب[1].

خواطر الشاعر عمر بلعيد عن جريدة "وادي ميزاب"

في ليلة الخامس عشر من شهر الله المعظم رمضان المبارك 1348هـ الموافق لـ: 13 فبراير 1930م؛ عقد الشاعر عمر بن عيسى بلعيد وبعض رفاقه زيارة إلى الشيخ أبي اليقظان في منزله بالعاصمة الجزائر، لقضاء بعض اللحظات الهنيئة رفقته، والمسامرة في بعض المواضيع الأدبية والتاريخية وقضايا الساعة...؛ وقد خلَّد الشاعر تلك الزيارة التاريخية بقصيدة من نوع الملحون الذي اشتهر به، وتقع القصيدة في 95 بيتاً، وهي بعنوان:

"قصة تاريخية في خواطر جريدة وادي ميزاب؛ للناشئ الغريب الجزائري" (نشيد الملحون)؛ ثم طرز القصيدة في أعلاها بعبارة نصُّها: "فيا أسفاً على أمةٍ قطعت لسانها بأيديها ودمَّرت رجالها".

ونظراً لطول القصيدة فقد اخترت منها بعض المقاطع المناسبة _رغم أهمية النص بأكمله_ رجاء أن يتحقق النفع والإفادة منها، وعلى أمل نشر القصيدة

[1] - يُنظر: نفسه، ص172 - 173.

بأكملها محققةً في الطبعة الثانية من "ديوان الغريب" إن يسَّر الله ذلك قريباً إن شاء الله؛ وإني أسأله العون والتوفيق والسداد.

مطلع القصيدة: وفيه يصف الشاعر جو أمسية رمضانية، ويبدو من خلال القصيدة بأنه هو من مبادر في الطلب من بعض أصدقائه مرافقته لزيارة الشيخ أبي اليقظان في بيته بالعاصمة، وفي ذلك يقول:

01 ا اعْلَى صَاحَب الْجَهرَة اعْلِيه النَّاسْ صَلَّتْ [1]

02 اَحْلاَ البَارَحْ اَبْسَهْرَة مَن اللَّيَالِي طَلَّتْ

03 مَنْ عْسَلْ اَلْحُرَّة بِيتْ اَشْبَاحْهَا[2] جَتْ

04 ت اَقْرَانِي زُورَة[3] خ فِي مَحْلُ بَايَتْ

05 تْ اَلدرُوج اَبْكَثْرَة نْ اَلبَاب وُ رَذَّتْ

06 ْ اَلسَّيَّد الكُبْرَى اَلبَابْ وَانْحَلَّتْ

07 ْنَا اَبْحُسن النَّظْرَة َارْ فَى البِرِي اَقْتَبْسَتْ

08 ي اَعمَلْتْ اَلصَّدرَة اَشْبَالُ حَضْرَتْ

09 جَلْسُوا اَمْعَانَا دُورَة[4] خْ لَلسَّؤَالْ اِيثَبَّتْ

10 مْنَا أيَّ فَكْرَة ة مَهْمَا حَارَتْ ...

---

1 - **مطالع المديح النبوي من السمات الأسلوبية التي تتميَّز بها قصائد الشعر الملحون.**

2 - **الأشباح هنا بمعنى الصور والتُّحف.**

3 - **الدليل بأنَّ الشاعر هو صاحب المبادرة في طلب زيارة شيخهم أبي اليقظان، وربما كان ذلك من عاتقهم.**

4 - **أي: مُحلِّقين كالدائرة.**

في استنكار توقيف الجريدة:

14 فَا ِيدة الْمَشْهُورَة اشْ[1] سْبَايَبْ عَطْلَتْ ؟

15 أنْ سَرْحُوا الأَمِيرَة لَلسْمَاء وَانْتَشْرَتْ

16 بَارْشَاش الْمَطْرَة أَرضْ الطِّيبَة نَبْتَتْ

17 شَعْشَعْ نُور القَمْرَة بَعْد اَغْيَامْ فَتْرَتْ

18 أنْ مَاتَتْ مَقْبُورَة هِيَّ سِوَى نَامَتْ

ثم ذكر جملةً يعتقد أنها من أسباب توقيفها؛ وهو ما أشار إليه الدكتور محمد ناصر في دراسته لمجموع جرائد الشيخ أبي اليقظان، في كتابه المسمى "أبو اليقظان وجهاد الكلمة"، وفي هذه الأبيات بعض تلك الأسباب؛ يقول:

24 هَا عَيْن الْحَمْرَة[2] رَعْدَتْ وُ بَرْقَتْ

25 تْ الضَّدْ بَالْجَدْرَة يعْ اَعْظَامُوا دَقَّتْ

26 اتْ فِي قَلْبُ عَدْرَة شَافُ عُلْوَانْهَا[3] دْخَتْ

27 رُوا عَشْرَا اِيَائَة لِيرَة تَعْطِيلْهَا حَدَّتْ[4]

28 م أوَّل اَلْ َّة اَسْبَايَبْهَا بَرْدَتْ

---

1 - ءاشْ؛ بمعنى: لماذا؛ باللسان الدَّراج في العاصمة الجزائر.

2 - كناية عن عيون الحاسدين والحاقدين، ممن احمرّت عيونهم بنار الغيظ والحسد.

3 - أي: العنوان؛ والمقصود لما رأى الحاقدون عنوانها في الأكشاك لا يتخلف عن الصدور، وقد صدر منها 119 عدداً متوالياً بين 1926 و1929.

4 - كان المعارضون للفكر الإصلاحي مستاءين من مقالات أبي اليقظان النارية وهي تدكّ تدكّ حصونهم وقلاعهم وتفضح تجاوزاتهم وألاعيبهم، لذلك استعانوا بأنصارهم من الأثرياء ليشتروا صوت الإدارة الاستعمارية بأي ثمن لتغلق صوت جريدة وادي ميزاب، ولم يهنأ لها بال حتى أغلقت آخر جرائده وأهمها وهي الأمة سنة 1938..؛ أنظر: محمد ناصر، المطبعة العربية، ص19 - 20.

29 دَتْهُم خَسْرُوا صُرَّة َ مَنْهَا عَادَتْ

30 تْ اَخْدُودْهُم مَرَّة وا اَلسَانْهُم لَيَسكُتْ

إلى أن يقول:

36 مَا مَسَّتْ مَرَّة ْ اَلدَّولَة اَحتَرْمَتْ

37 مَنْ قَانُون مْضَرَّة "الْجِنْسِيَّة" جَرَّتْ ؟!

38 مَا عَندُ عُذْرَة ي دَا النَّازِيلَة[1] طَّتْ

39 خُوف وَلاَ مَغْفِرَة ْحَاسَدْ لاَبَا يَلْبَتْ [2]

40 ي اعْوَايَدْهُم حُقْرَة تْ الصَّالَح خَسْرَتْ [3]..

سؤال: لِم صُودرت جريدة "وادي ميزاب" ومُنِعت عن الصدور؟!

الجواب: لا لشيء؛ إلاَّ لأنَّها تصدَحُ بالحقّ.

61 صَفْحَة مَنْشُورَة ول مَنْهَا مَا قَتْ !

62 "مِيزَابْ" مَحْدُورَة اعْلِيهَا مْصَلَّتْ ![4]

63 هَا صَاحَبْ اَلفَكْرَة لْ: اَقلاَمُ جَفَّتْ

64 بَدَتْنَا مَذْكُورة ض اَردَالْنَا[5] اغَتْ

65 قُومْنَا مَذْكُورَة ي شَانْهَا الذَّ افْتَرْقَتْ

صبراً شيخنا أبا اليقظان:

---

1 – أي: في هذه الواقعة أو البليَّة التي حلَّت.

2 – أي: لا شكَّ سوف يخسئ.

3 – إشارة إلى تعسُّف الإدارة الاستعمارية وتمييزها بين طبقات الشعب الجزائري...

4 – أي: مُسلَّط.

5 – أي: الأراذل؛ من الذين طغوا بأموالهم الكثيرة أو علاقاتهم الغادرة مع الإدارة الاستعمارية.

70 ، يَـا شِيخِـي صَـبْـراً ، اَلنعَـايَمْ بَاصَتْ [1]

71 ، وَرَبِّ اَلقُدْرَة الأُمُور اَنْقَلْبَتْ

72 يَا مَثْلْ الكُورة الأرذال بِهَا لَعْبَتْ

73 اتْ اَلطِّحْ[2] ، حُفْرَة بَالضَّرب اَنْفَتْقَتْ

74 اَلفَاهَم مَحْصُورَة ـَة سَاعة يَتْنَهَّتْ

75 الزْمَانْ عَنْدِي عَرَّة ـَثْرَةْ نَاسُوا هَمْجَتْ

76 اتْ اَلبَاطَل شَجْرَة ـَينْ اَلْحَقْ ذَلَّتْ

77 ـِولْ المالْ[3] ـْدو شَخْرة[4] لْ الأقفَال انْحلَّتْ !... ـَخْرة[4]

خاتمة

91 مْ قَصْتِي وُ نَقْرَا هِي بَالوَاقَعْ قَرَّتْ

92 خَمْسَ وَالعَشْرَة وَالثْمَانْيَة حَرَّتْ

93 وَالثَّلْثَمَائَة هِجرَة ، القَصَّة صَارَتْ

94 التَّارِيخْ الْمَذْكُورَة شَهر الأُمَّة صَامَتْ [5]

95 ـَلْمَتْ "عُمَر"[6] ـُرَّة لْمَعْنَى سِوى اَنْتَبْهَتْ

تمت قصة الغريب 1348هـ (1929م)

1 – **أي: باسطٌ.**

2 – **أي: تسقط.**

3 – **أي: صاحب المال.**

4 – **أي: صرخة.**

5 – **أي: 15 رمضان المعظم 1348هـ.**

6 – **أي: الشاعر عمر بن عيسى بلعيد ناظم القصيدة.**

لو ذهبنا نستقصي مآثر الشاعر عمر بلعيد ونصرته للقضايا الوطنية العادلة، لوجدناه خلف كل مقالٍ للشيخ أبي اليقظان تقريباً؛ وكأنه يقرأ أفكار الشيخ أو يصدر عنها؛ ولا نستغرب ذلك طالما أنهما يستنيران من مشكاةٍ واحدةٍ ويعملان لمبادئ واحدة قوامها الإخلاص لله والوطن، لذلك تجده ثائراً على المضايقات التي تعرَّض لها الشيخ أبي اليقظان في جهاده الصحفي، وتجده يكتب عن نقابة التجار المسلمين الجزائريين ضد تعسُّف اليهود بالعاصمة، وتجده يكتب عن جهاد سليمان باشا الباروني ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا... إلى غير ذلك كثير.

الخلاصة والتوصيات.

عندما نقف أمام النماذج التي تعرضنا إليها في شعر عمر بن عيسى بلعيد البريّاني؛ فإننا نقف على شعر شعبيٍّ ملحون ذي مسحةٍ وطنيةٍ صارخة، كما نقف أيضاً على جزءٍ هامٍ من ذاكرة الجزائر الثائرة بنهضتها الإصلاحية وجهاد أبنائها الطويل ضد الاستعمار الفرنسي؛ ومن خلاله تنعكس لنا جوانب مضيئة من هوية وشخصية سكان المنطقة في مواجهة الأزمات ومقارعة المُلمَّات، فجهاد أبي اليقظان الصحفي جزء من ذاكرة الأمة المزابية خصوصاً والجزائرية عموماً، فلولا تلك الجهود التي آزرت وناصر الشيخ في سير جرائده بداية من سنة 1926م، وسير المطبعة العربية بداية من سنة 1931م، لما استطاع لوحده أن يُجابه خصومه اللَّدودين، لاسيما "رأس البغل"[1] أو رأس الشهر كما يحلو للشيخ أن يسميه، فهو موعد متجدد مع المقترضين ومع رواتب العمال ومصاريف الورق... إلخ، ينوء بحمله ثلّة من الأثرياء مجتمعين، فكيف برجل محدود الدخل مثله، فبفضل الله ثم فضل الرجال الإصلاحيين المخلصين من حوله استطاع أن يثبت في جهاده إلى آخر يوم من حياته.

ومن الرجال الذين ناصروا الشيخ أبي اليقظان في كفاحه الطويل ضد الجمود والجهل والتخلف والاستعمار المقيت...؛ نجد الشاعر عمر بن عيسى بلعيد بقصائده الغنائية الطويلة، فقد كانت قصائده الوطنية وسيلة دعاية شعبية لنصرة الشيخ في جهاده الإصلاحي، إذ كان يقرأ تلك القصائد الجميلة

[1] - ينظر: محمد ناصر، المطبعة العربية، ص28 - 36.

بأسلوبه الجذّاب وصوته الرنَّان في أعراس بلدته برّيان، فيطرب لها الجميع، ويعرف المستمعون من خلالها قيمة وتضحيات وقدر الشيخ أبي اليقظان وعظيم ما يُلاقيه، فيشحذوا عزائمهم لنصرته ومساندته مادياً ومعنوياً.

أخيراً لو ذهبنا نستقصي ونستعرض تراثنا المخطوط هنا وهناك في الجزائر وفي أقطار المغرب الكبير لأحصينا من ذلك الدواوين العديدة والتأليف الوفيرة...، وما بين أيدينا هو غيض من فيض؛ وهو يدعونا وبإلحاح شديد إلى إعادة قراءة هذا النص الشعبي الجزائري وغيره، وكذا قراءة ودراسة مختلف النصوص التراثية المغاربية التي تنحوا هذا النَّحو؛ سعياً منا لتأسيس منظومة أدبية شعبية مغاربية تتكامل بتنوّع المناهج ووفرة الدراسات المتخصصة؛ أمَّا ما حاولت التعرّض إليه في هذه الورقة فهو التعريف بجزء من ذاكرتنا الوطنية من خلال شاعرٍ جزائري مغمور، والنَّصين الشعريين يُعرضان لأولٍّ مرة في هذه الورقة، وهما بعدُ بحاجة إلى تحقيق ودراسة، وإلى المزيد من البحث قصد كشف ثراء نصوصه الشعرية، والتي صار بعضها جماهرياً على غرار قصيدته الغنائية عن فيضان "وادي بَاللُّوح 1901م" وقد أقمت ندوة في بريان صيف 2010م في "حجبة العرس الجماعي" الذي ضمَّ يومها 58 عريساً، تحدّثتُ فيها عن هذا الشاعر وعن تراثه الأدبي، واستمعتُ والحاضرين إلى إنشادٍ جماعيٍّ لِمقطعٍ من قصيدته "باللُّوح" من أداء قُدماء المجموعة الصوتية لبريَّان فكان أداءً رائعاً ومميزاً؛ فجال بخيالي أداء فرقة عمر بلعيد لقصائده وأشعاره أيام حياته، وعن حجم النصوص والألحان التي ضاعت واندثرت مع مرور الزمان؟!

ومن هنا فإنَّ صيانة وحفظ تراثنا الجزائري خصوصاً والمغاربي عموماً الشفوي والمخطوط منه مَهمَّة الجميع، وإخراجه بالتحقيق والنشر والدراسة أيضاً مَهمَّة الباحثين والمتخصصين حتى نحمي ذاكرتنا الجماعية من الاندثار والذوبان في فلك العولمة العالمية التي لا تُبقي على الخصوصية.

المصادر والمراجع:

1- عمر بن عيسى بلعيد، ديوان الغريب، الجزء الثاني (مخطوط)، نسخة مصورة بحوزة الباحث.

2- عمر بن عيسى بلعيد، ديوان الغريب، تح: يحيى بن بهون حاج امحمد، العالمية للخدمات الطباعية، الجزائر، ط1، 2010.

3- إبراهيم أبي اليقظان، جريدة المغرب، (1930 - 1931)، نسخة مصورة، بأرشيف جمعية التراث، القرارة - غرداية، الجزائر.

4- إبراهيم أبي اليقظان، ملحق السير، (مخطوط)، نسخة مصورة بمكتبة دار إروان – العطف، غرداية.

5- محمد صالح ناصر، المطبعة العربية معلم وطني مجهول (1931- 1962)، مكبة الريام – الجزائر، ط1، 2008.

6- محمد صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية (1847 – 1954)، نشر ألفا ديزاين - الجزائر؛ ط2، 2006.

7- محمد صالح ناصر، أبي اليقظان وجهاد الكلمة، نشر ألفا ديزاين – الجزائر، ط3، 2006.

8- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1971.

9- الشيخ القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحيى بن بهون، نشر جمعية النهضة، ط1، 2009.

10- معجم أعلام الإباضية، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية غرداية - الجزائر، ط1، 1999.

11- محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925- 1962)، نشر جمعية التراث، القرارة- غرداية، ط01، 1425هـ/2004م.

12- حمو عيسى النوري، نبذة من تاريخ المزابيين، مطبعة البعث، قسنطينة، ط2، 1992.

الملاحق:

صورة من مخطوطة ديوان الغريب

وفيها مطلع قصيدة عمر بلعيد حول تعطيل "جريدة ميزاب".

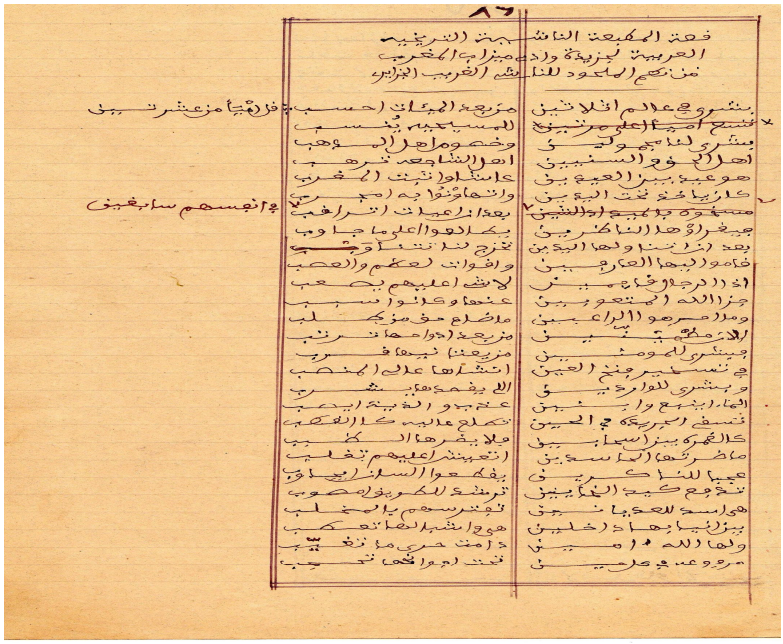

صورة من مخطوطة ديوان الغريب

وفيها مطلع قصيدة عمر بلعيد حول نشأة "المطبعة العربية".

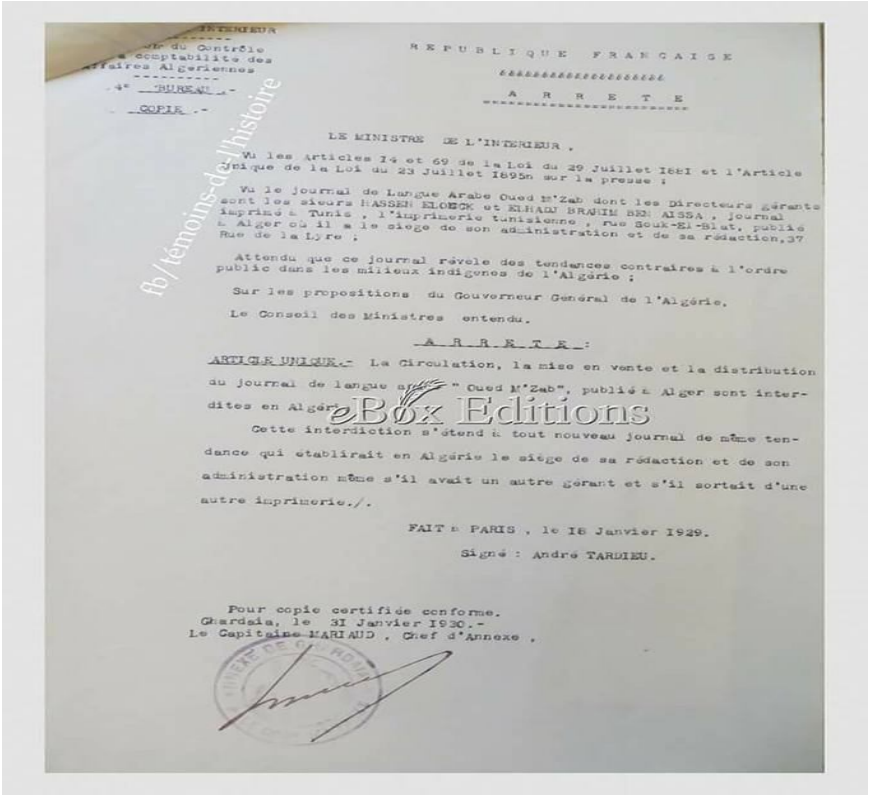

INTERIEUR

Bureau du Contrôle
de la Comptabilité des
Affaires Algériennes

4e BUREAU.-

COPIE.-

REPUBLIQUE FRANCAISE

A R R E T E

LE MINISTRE DE L'INTERIEUR,

Vu les Articles 14 et 69 de la Loi du 29 Juillet 1881 et l'Article unique de la Loi du 23 Juillet 1895n sur la presse ;

Vu le journal de Langue Arabe Oued M'Zab dont les Directeurs gérants sont les sieurs HASSEN ELOUCK et ELHADJ BRAHIM BEN AISSA, journal imprimé à Tunis, l'imprimerie tunisienne ; rue Souk-El-Blat, publié à Alger où il a le siège de son administration et de sa rédaction, 37 Rue de la Lyre ;

Attendu que ce journal révèle des tendances contraires à l'ordre public dans les milieux indigènes de l'Algérie ;

Sur les propositions du Gouverneur Général de l'Algérie,

Le Conseil des Ministres entendu,

A R R E T E :

ARTICLE UNIQUE.- La Circulation, la mise en vente et la distribution du journal de langue arabe " Oued M'Zab", publié à Alger sont interdites en Algérie.

Cette interdiction s'étend à tout nouveau journal de même tendance qui établirait en Algérie le siège de sa rédaction et de son administration même s'il avait un autre gérant et s'il sortait d'une autre imprimerie./.

FAIT à PARIS, le 18 Janvier 1929.

Signé : André TARDIEU.

Pour copie certifiée conforme.
Ghardaia, le 31 Janvier 1930.-
Le Capitaine MARIAUD, Chef d'Annexe,

fb/témoins-de-lhistoire

eBook Editions

قرار الإدارة العامة الاستعمارية بحضر جريدة "وادي ميزاب" عن الصدور مؤرخ في باريس 1929/01/19 / صورة من أرشيف الإدارة الفرنسية.